علمُ البديع

عرفتَ فيما سبق أنَّ علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليبَ عدة بين تشبيه ومجاز وكناية، وعرفت أن دراسة علم المعاني تُعينُ على تأدية الكلام مطابقًا لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغيٍّ يفْهمُ ضمنًا من سياقه وما يُحيط به من قرائن. وهناك ناحية أخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنويِّ، ويسمَّى العلمُ الجامع لهذه المباحث بعلم البديع. وهو يشتمل، كما أشرنا، على محسِّناتٍ لفظية، وعلى محسِّنات معنوية، وإنا ذاكرون لك منْ كلٍّ قسم طرفاً.

المحسّناتُ اللفظيَّةُ

(1) الجناسُ

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: 55].

(2) وقال الشاعر في رثاء صغير اسمه يَحْيَى:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ ... إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبِيلُ

***

(3) وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 9-10].

(4) وقال ابن الفارض [1]:

هَلاَّ نَهَاكَ نُهَاكَ عَنْ لَـوم امْرِئٍ ... لَـمْ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَّمٍ بِشَقَاءِ[2]

(5) وقالت الخنساءُ من قصيدة تَرْثي فيها أخاها صخرًا:

إِنَّ الْـبُـكَـاءَ هُـوَ الـشِّـفَـا ... ءُ مِنَ الجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ[3]

(1) هو أبو حفص عمر بن على بن مرشد، أشعر المتصوفين، أصله من حماة، ومولده في القاهرة، وله ديوان شعر، وتوفي بمصر سنة 632 هـ وقبره معروف يزار.

(2) النهى: جمع نهية وهي العقل، ويلفى: يوجد.

(3) الجوى: الحرقة وشدة الوجد، الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب وهى مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر، والواحدة جانحة.

(6) وقال تعالى حكايةً عنْ هَرون يخاطبُ موسى: ﴿خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [طه: 94].

البحث

تأمل الأمثلة السابقة تجدْ في كل مثال كلمتين تجانس إحداهما الأخرى وتشاكلها في اللفظ مع اختلاف في المعنى؛ وإيرادُ الكلام على هذا الوجه يسمَّى جناساً. ففي المثال الأول من الطائفة الأولى تجد أن لفظ «الساعة» مكررٌ مرتين، وأن معناه مرةً يومُ القيامة، ومرة إحدى الساعات الزمانية، وفي المثال الثاني ترى «يَحْيى» مكررا مع اختلاف المعنى. واختلافُ كل كلمتين في المعنى على هذا النحو مع اتفاقهما في نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها يُسمَّى جناسًا تامًّا. وإذا تأمَّلتَ كلَ كلمتين متجانستين في الطائفة الثانية رأيت أنهما اختلفتا في ركن من أركان الوفاق الأربعة المتقدمة، مثل تقْهرْ وتَنْهَرْ، ونَهاكَ ونُهَاكَ. والجَوى والْجوانح، وبيْن وبَنى، على ترتيب الأمثلة، ويُسمَّى ما بين كل كلمتين هنا من تجانس جناسًا غير تامٍّ والجناسُ في مذهب كثير من أهل الأدب غيرُ محبوب؛ لأنه يؤدي إلى التعقيد، ويَحول بين البليغ وانطلاق عِنانه في مضمار المعاني، اللهم إلا ما جاءَ منه عفوًا وسَمحَ به الطبعُ من غير تكلف.

القاعدة

(68) الجنَاسُ أَنْ يَتَشَابَهَ اللفظانِ في النُّطْق وَيَخْتَلِفَا في الْمَعْنى. وهو نَوْعان:

(أ) تَامٌّ: وهو ما اتَّفَقَ فيه اللفظان في أمورٍ أَربعةٍ هيَ: نَوْعُ الحُروفِ، وشَكلُهَا، وعَدَدُها، وتَرْتيبُها.

(ب) غَيْرُ تَامٍّ: وهو مَا اخْتَلَفَ فيه اللفظان في واحدٍ مِنَ الأمور الْمُتَقَدِّمة.

تمرينات

(1)

في كلِّ مثالٍ منَ الأمثلة الآتية جناسٌ تامٌّ، فبيِّن موضعَه:

(1) قال أبو تمام:

ما مات مِنْ كرمِ الزمان فإنَّه ... يحْيا لَدى يحْيى بْنِ عبد الله

(2) قال أبو العلاء المعري:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسانًا يُلاذُ بِهِ ... فَلا برِحْتَ لِعيْنِ الدهْرِ إِنْسانا [1]

(1) يلاذ به: يلجأ إليه، وإنسان العين: المثال الذي يرى في السواد.

(3) قال البُسْتيُّ :

فَـهـمْـتُ كـتَـابـك يـا سـيِّـدِي ... فَهِمْتُ ولاَ عجبٌ أنْ أهِيما

(4) وقال يمدح :

بسيفِ الـدَّوْلـة اتَّسقَتْ أمُـورٌ ... رأَيْـنَـاهـا مُـبـدَّدَةَ الـنِّـظَـام [1]

سَـمَـا وحَـمَـى بني سـامٍ وحـامٍ ... فـلـيـسَ كمثلهِ سـامٍ وحـامِ

(5) وقال أبو نُواس :

عبَّاسُ عبَّاسٌ إذَا احتَدَم الوغَى ... والفَضْلُ فَضْلٌ والربيعُ ربيعُ [2]

(2)

في كلِّ مثالٍ منَ الأمثلة الآتية جناسٌ غيرُ تامٍّ، فوضحه وبيِّنْ لم كان غيرَ تامٍّ؟

(1) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[3] [النساء: 83].

(2) وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: 26].

(3) وقال ابن جُبير الأندلسي [4]:

فَيا راكِبَ الوجْنَاءِ هل أنْت عالِمٌ ... فِداؤُكَ نَفْسِي كيْفَ تلكَ المَعالِمُ [5]

(4) وقال الحريري [6] يصفُ هُيام الجاهل بالدنيا:

مـا يـسـتَـفِـيـقُ غـرامًـا ... بـهَـا وفَـرْطَ صَـبَـابَـهْ [7]

ولـوْ دَرى لَـكَـفَـاهُ ... مـمـا يَـرومُ صُـبـابَـهْ [8]

---

(1) اتسقت: انتظمت.

(2) عباس في أول البيت هو عباس بن الفضل الأنصاري، قاض من رجال الحديث، ولي قضاء الموصل في عهد الرشيد وتوفي بها سنة 186 هـ، وكلمة عباس الثانية صيغة مبالغة من عبس وجهه إذا كلح وتجهم. والفضل الأول هو الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد ثم وزير الأمين، والفضل الثاني الشرف والرفعة. والربيع الأول هو الربيع بن يونس وزير المنصور العباسي، والربيع الثاني الخصب والنماء.

(3) يقول: إذا جاء ضعفاء الإيمان نبأ نصر أو هزيمة أفشوه ونشروه.

(4) رحالة عني بالأدب وبلغ الغاية فيه، وتقدم في صناعة القريض والكتابة، وأولع بالأسفار، ومات بالإسكندرية سنة 614 هـ.

(5) الوجناء: الناقة الشديدة.

(6) هو أبو عبد الله محمد القاسم صاحب المقامات الحريرية، كان أحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات. ومن عرفها حق المعرفة استدل بها على فضل الرجل وغزارة مادته وكثرة اطلاعه. وله غيرها تآليف حسان، توفي بالبصرة سنة 510 هـ.

(7) الصبابة بالفتح: حرارة الشوق. (8) الصبابة بالضم: بقية الماء في الإناء.

(5) وقال عبد الله بن رواحةَ [1] يمدحُ النَّبيَّ ﷺ، وقيل إنه أمدح بيت قالته العربُ :

تحْمِلهُ النَّاقةُ الأدْمـاءُ مُعْتَجِرًا ... بالبُردِ كالبدْرِ جلَّى نُورُهُ الظُّلَمَا [2]

(3)

بيِّنْ مواضعَ الجناسِ فيما يأتي وبينْ نوعه في كلِّ مثالٍ:

(1) قال البحتري في مطلع قصيدة :

هـلْ لِما فـات مِـن تَـلاقٍ تلافي ... أمْ لِـشـاكٍ مِـن الصَّبابةِ شافي

(2) وقال النابغة في الرثاء :

فَيالَك مِنْ حـزْمٍ وعـزْمٍ طَواهُما ... جديدُ الرَّدَى بيْن الصَّفا والصَّفائح [3]

(3) وقال البحتري:

نَسيمُ الـرَّوْضِ في رِيـحِ شَمَالٍ ... وَصَوْبُ المُزْنِ في رَاحٍ شَمُولِ [4]

(4) وقال الحريري: لا أُعْطي زِمامي من يُخْفرُ ذِمامي [5]، ولا أغرِسُ الأيادي في أرضِ الأعادي.

(5) وقال : لهُمْ في السيرِ جَرْيُ السَّيلِ. وإلى الخيرِ جرْيُ الخَيلِ

(6) قال البحتري :

فَقِفْ مُسعِدًا فيهنّ إن كنتَ عاذِراً ... وَسِرْ مُبعِدًا عَنهُنّ إنْ كنتَ عاذِلا

(7) وقال أبو تمام :

بيضُ الصفَائح لا سُودُ الصَّحائفِ في ... مُتُونِهنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرِّيبِ [6]

(8) وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75] [7].

(9) وقال ﷺ: « الخيلُ معقودٌ بنواصيها الخيْر » [8].

---

(1) صحابي جليل وشاعر من الشعراء الراجزين، شهد غزوات كثيرة، واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في إحدى غزواته، ومات سنة 8 هـ.

(2) الناقة الأدماء: الشديدة البياض، والمعتجر: الملتف، وجلي: كشف.

(3) الصفا: الحجارة، الواحدة صفاة، والصفائح: حجارة رقاق تبلط بها الدور وتسقف بها القبور.

(4) الصوب: نزول المطر،والمزن: جمع مزنة وهي السحابة البيضاء، والراح: الخمر، والشمول: الخمر تنفحها ريح الشمال، يصف البحترى بذلك أخلاق ممدوحه.

(5) يخفر ذمامي: ينقض عهدى.

(6) بيض الصفائح: كناية عن السيوف، وسود الصحائف: الكتب، ومتن السيف: حده. (7) المرح: شدة الفرح.

(8) النواصي: جمع ناصية وهي مقدم الرأس.

(10) وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وكُنّا مَتَى يَغْزُ النبيُّ قبيلَة نَصِلْ جانِبَيْه بالقنا والقنابلِ [1]

(11) وقال أبو تمام :

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَواصِمٍ تصُولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ [2]

(12) لا تُنالُ الغُرَرُ إلا بركوب الغرَر [3].

(4)

هات مثالين منْ إنشائك للجناس التامّ، ومثالين آخرين لغير التام، وراع ألاَّ يظهرَ في كلامك أثرٌ للتكلف.

(5)

اشرحْ قولَ أبي تمام وبينْ نوعَ الجناس الذي فيه :

ولَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُه مَغَارِمَ في الأقوامِ وَهْيَ مَغَانِمُ [4]

(2) الاقتباسُ

الأمثلة

(1) قال عبد المؤمن الأصفهانيُّ [5] : لا تَغُرَّنَّكَ مِنَ الظَّلَمَةِ كثرةُ الجيوش والأنصار «إنما نؤخِّرهم ليوم تشخَصُ في الأبصارُ» [6].

(2) وقال ابن سنَاء [7] المُلك:

رَحَلُوا فَلَستُ مُسَائِلًا عَنْ دَارِهِمْ أنَا «بَاخِعٌ نَفْسِي [8] عَلَى آثَارِهِمْ»

(1) القنا: جمع قناة وهي الرمح.

(2) عواص: جمع عاصية من عصاه ضربه بالسيف أو العصا، وعواصم: عن عصمه إذا حفظه وحماه، وقواض من قضى عليه إذا حكم، وقواضب: من قضبه إذا قطعه.

(3) الغرر: بالضم غرة، وغرة كل شيء أوله، والغرر بفتحتين: الخطر.

(4) المغارم: جمع مغرم وهو ما يلزم أداؤه، والمغانم: جمع مغنم وهو الغنيمة.

(5) أديب مشهور متصوف وله كتاب يدعى أطباق الذهب، رتبه على مائة مقالة عارض بها الزمخشري.

(6) يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف.

(7) هو القاضي السعيد هبة الله، كان من الرؤساء النبلاء، وكان واسطة العقد في مجالس الشعراء بمصر وهو أول من استكثر من الموشحات وأجاد فيها من المشارقة، وله ديوان شعر، وتوفى بالقاهرة سنة 608 هـ.

(8) بخع نفسه: قتلها غماً.

(3) وقال أبو جعفر الأندلسيُّ [1]:

لا تُعادِ النَّاسَ في أوْطانِهِمْ ... قَلَّما يُرْعى غَريبُ الوَطَنِ [2]

وإذا ما شئتَ عَيْشًا بينهُمْ ... «خالِقِ النَّاسَ بخُلْقٍ حَسَنِ»

البحث

العبارتانِ اللتانِ بينَ الأقواس في المثالين الأَولين مأْخوذتانِ من القرآن الكريم، والعبارة التي بين قوسين في المثال الثالث من الحديث الشريف، وقد ضمَّن الكاتبُ أو الشاعر كلامه هذه الآثار الشريفة من غير أن يُصرِّح بأنها من القرآن أو الحديث، وغرضه من هذا التضمين أن يستعيرَ من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه، وهذا النوع يسمَّى اقتباساً، وإذا تأملتَ رأيتَ أنَ المُقْتَبس قد يُغَيِّر قليلًا في الآثار التي يقْتَبِسُها كالمثال الثاني إذ الآية: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ﴾ [الكهف:6].

القاعدة

(69) الاقْتباسُ: تَضْمينُ النَّثْر أو الشِّعر شَيْئًا مِنَ الْقُرآن الكريم أو الحديثِ الشريفِ مِنْ غَيْر دلالةٍ عَلَى أنَّهُ منهما، ويَجُوز أنْ يُغَيِّرَ في الأثَر المُقْتَبس قَليلاً.

تمرينات

(1)

بيِّنْ في كلِّ اقتباس مما يأتي حُسْن تأتِّي البليغ في إحكام الصلة بين كلامه والكلام المُقتَبس:

(1) اغتنم فودَك [3] الفاحمَ [4] قبل أن يبْيضَّ، فإنما الدُّنيا «جدارٌ يريد أن ينقض [5]».

(2) وكتب القاضي الفاضل [6] في الرد على رسالة: وردَ على الخادمِ الكتابُ الكريمُ فشكره «وقَرَّبه نَجيًّا» [7] «ورفعه «مكانًا عليًّا»، وأعاد عليه عصر الشباب «وقَدْ بلَغَ من الكِبر عِتيًّا [8]».

---

(1) أديب قوي الإدراك، أجاد في فني النظم والنثر، وجرت له مع لسان الدين بن الخطيب مباحثات ومراسلات، وله ديوان شعر، وتوفي نحو سنة 772 هـ.

(2) يرعى غريب الوطن: أي يلحظ بالإحسان.

(3) الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

(4) الفاحم: الأسود.

(5) ينقض: يسقط.

(6) كاتب من أئمة الكتاب، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ومن مقربيه، وقد اشتهر بسرعة الخاطر في الإنشاء، وله طريقة في الكتابة عمادها السجع والتورية تعرف بالطريقة الفاضلية، حاكاه فيها من جاء بعده من الأدباء، ولد بعسقلان، وتوفي بالقاهرة 596 هـ.

(7) النجي: الذي تساره، ومعنى قربه نجيا: جعله مناجيا.

(8) عتيا: مصدر عتا الشيخ إذا كبر وولي

قال في حمام الزَّاجِلِ: وقد كادت أن تكونَ من الملائكةِ فإذا نيطَتْ بها الرِّقاع [1] صارت «أولى أجْنِحة مثْنَى وثُلاثَ ورباع».

(4) ومن كتاب لمُحْيي الدين عبد الظاهر [2]: لا عدِمتِ الدولةُ بيضَ سُيوفِه التي «يَرى بها الذين كَذَبُوا على الله وجُوهَهُم مُسْوَدَّة».

(5) وقال الصاحب [3]:

أَقُـولُ وَقَـدْ رأَيْـتُ لَـهُ سَحابًا ... مِـنَ الـهِـجْـرانِ مُقْبِلَةً عليْنا

وقَـدْ سَـحَّـتْ غَـواديـهـا بهَطْلٍ ... «حَوَالَيْنَا» الصُّدُودُ و«لا علينَا» [4]

(6) رُبَّ بخيلٍ لَـوْ رأى سائلًا ... لَـظَـنَّـهُ رُعْـبًـا رسُـولَ المنُونِ

لاَ تطْمعوا فِي الـنَّـزْرِ من نَيْله ... «هيْهات هيْهَاتَ لما تُوعدون»

(2)

اقتبس الآيات الكريمة الآتية مع إجادة الاقتباس وإحكامه:

(1) ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

(2) ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: 43].

(3) ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

(4) ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14].

(5) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

(3)

صُغْ عباراتٍ تَقْتَبِسُ في كلٍّ منها حديثًا من الأحاديث الشريفة الآتية مع العناية بحسن وضعها:

(1) «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

(2) «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

(3) «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(4) «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ..».

---

(1) نيطت بها الرقاع: علقت في أعناقها الرسائل.

(2) كان من أعظم الكتاب المقدمين في دولة المماليك، ويمتاز ببراعته في كتابه الدواوين في ذلك العصر، ولد سنة 620 هـ وتوفي سنة 692هـ.

(3) وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علمًا وفضلا وتدبيراً، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمي، وشعره عذب رقيق، وتوقيعاته آية الإبداع في الإنشاء، وتوفي سنة 385 هـ.

(4) سح المطر: سال، والغوادي: السحب تنشأ صباحًا جمع غادية، والهطل: تتابع المطر وسيلانه، يقول: جاءت سحبه بمطر متتابع.

(4)

اشرح قول ابن الرومي في الهجاء، وبينْ حسن الاقتباس فيه:

لَـئِـن أخْـطـأتُ فـي مـدْحِـــكَ مـا أخْـطَـأتَ فـي منْعي
لَـقَـدْ أنـزلـتُ حـاجـاتـي «بـــوادٍ غَـيْـر ذِي زَرْعِ»

(3) السَّجْعُ

الأمثلة

(1) قال ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».

(2) وقال أعرابيٌّ ذَهَبَ بابنه السَّيْل: اللهُمَّ إنْ كُنْتَ قَدْ أبْلَيْتَ، فَإنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ.

***

(3) الحُرُّ إذَا وَعَدَ وَفَى، وإذَا أعَانَ كَفَى، وإذَا مَلَكَ عَفَا.

البحث

إذا تأملت المثالين الأولين وجدت كلاًّ منهما مركبًا من فِقْرتَين متحدتين في الحرف الأخير، وإذا تأملت المثال الثالث وجدته مركبًا من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأخير أيضاً، ويسمَّى هذا النوع من الكلام **سجعا** [1]. وتسمَّى الكلمة الأخيرة منْ كل فقرة **فاصلةً**، وتُسكَّن الفاصلةُ دائمًا في النثر للوقف. وأفضلُ السجع ما تساوت فِقَرُه، ولا يحسنُ السجعُ إلا إذا كان رصين التركيب، سليمًا من التكلف، خاليًا منَ التكرار في غير فائدة. كما رأيت في الأمثلة.

القاعدة

(70) السَّجْعُ: تَوافُقُ الْفَاصِلَتَيْن في الْحَرْفِ الأخِير [2]، وأَفْضَلُهُ ما تَسَاوَتْ فِقَرُهُ.

تمرينات

(1)

بيِّن السجعَ في الأمثلة الآتية، ووضِّح وجوه حسنه:

(1) تشبيها له بسجع الحمامة إذا هدرت.

(2) السجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر كقول أبي الطيب:

فنحن في جذل والروم في وجل والبر في شغل والبحر في خجل

(1) قال ﷺ «رحم اللهُ عبْدًا قال خَيْرًا فغنم، أوْ سكتَ فسلم».

(2) قال الثعالبيُّ [1]: الحِقْدُ صدأُ القلوب، واللَّجاجُ سببُ الحروب [2].

(3) وقال الحريري: ارتفاعُ الأخطار، باقتحام الأخطار [3].

(4) وقال بعض البلغاء: الإنسانُ بآدابه، لا بزيِّه وثيابه.

(5) وقال أعرابيٌّ لرجل سأل لئيماً: نَزَلْتَ بوادٍ غَيْر ممْطورٍ، وفناءٍ غَيْر معمورٍ، ورجُلٍ غير ميْسورٍ، فأقمْ بنَدم، أو ارتحلْ بعدم.

(6) وقال أعربي: باكَرَنَا وسْميٌّ [4]، ثم خَلفه ولِيٌّ [5]، فالأرضُ كأنها وشيٌ [6] منْشورٌ، عليه لؤلؤٌ منثورٌ، ثم أتتنا غيومُ جرادٍ، بمناجلَ [7] حصاد، فَجَردتِ [8] البلادَ، وأهلكتِ العبادَ، فسبحانَ منْ يُهلك القويَّ الأكولَ بالضعيفِ المأكولِ.

(2)

(1) **اقرأ الرسالة الآتية، وبيِّن جمالَ السجع فيها، ثم حُلَّها وابْنها بناءً آخر لا سجع فيه. كتب ابن الرومي إلى مريض:** أذنَ الله في شِفائك، وتلقَّى داءَكَ بدوائك، ومسحَ بيدِ العافية عليك، ووجَّه وفدَ السلامة إليك، وجعل علَّتَكَ ماحيةً لذنوبك، مضاعفةً لمثوبتك.

(2) **تفهَّمْ ما يأتي وهو مما يُنسب إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهَه، ثم حُلَّه وابْنِه بناءً آخر مسجوعاً:** اتَّقِ اللهَ في كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاء، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلاَ تَأْمَنْهَا عَلَى حَال، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ، مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ، سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ.

(3)

بيِّن أمِن المسجوع أم مِنَ المُرسلِ ما يأتي ووضِّح السببَ:

كتب هشام [9] لأخيه وكان أظهر رغبته في الخلافة: أما بعد، فقد بلغني اسْتِثْقَالُك حياتي، واستبطاؤك مماتي، ولعَمري إنك بعدي لواهي الْجَنَاح، أجذَمُ الكفِّ، وما استوجبتُ منك، ما بلغني عنك.

---

(1) هو أبو منصور النيسابوري، والثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، وكان واحد عصره في العلم والأدب، وله تآليف كثيرة منها فقه اللغة ويتيمة الدهر، وشعره جيد، وتوفي سنة 429 هـ.

(2) اللجاج: التمادي في الخصومة.

(3) خطر الرجل: قدره ومنزلته، والخطر أيضاً: الإشراف على الهلاك، يقول: ارتفاع قدر الإنسان إنما يكون باقتحام المخاوف والمهالك.

(4) الوسمي: مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات.

(5) الولي: المطر الثاني.

(6) الوشي: نوع من الثياب ذو ألوان.

(7) المناجل: جمع منجل وهو ما يحصد به.

(8) جردت البلاد: جعلتها قاحلة جرداء.

(9) أحد ملوك الدولة الأموية في الشام، اجتمع في خزانته من المال ما لم يجتمع في خزانة أحد من خلفاء بني أمية، وتوفي سنة 125 هـ.

المحسناتُ المعنوية

(1) التوريةُ

الأمثلة

(1) قال سِرَاجُ الدين الوَرَّاق [1]:

أصُونُ أديمَ وجهي عَن أُنَاس ... لقاءُ الموتِ عِندهُم الأديبُ

وَرَبُّ الشعر عندهُمُ بَغِيضٌ ... وَلَوْ وَافَى بهِ لَهُمُ «حبيبُ»

(2) وقال نَصِيرُ الدين الحَمَّامي [2]:

أبْيَاتُ شِعْرك كالقُصـ ... ـور ولا قُصُورَ بهَا يَعوقُ[3]

ومِنَ العَجَائبِ لَفْظُها ... حُرٌّ ومعناها «رَقِيقُ»

(3) وقال الشَّابُّ الظريف [4]:

تَبَسَّمَ ثغْرُ اللَّوْزِ عَنْ طِيبِ نَشْرِهِ ... وأَقْبَلَ في حُسْنٍ يَجِلُّ عن الوَصْفِ

هَلُمُّوا إليه بَينَ قَصْفٍ ولَذَّةٍ ... فإنَّ غصونَ الزَّهْرِ تَصْلُحُ «للقَصْفِ»

البحث

كلمة «حَبيب» في المثال الأول لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهنُ بسبب التمهيد له بكلمة «بغيض»، والثاني اسم أبي تمام الشاعر وهو حبيبُ بنُ أوْس، وهذا المعنى بعيد. وقد أراده الشاعر ولكنه تَلطف فورَّى عنه وستره بالمعنى القريب. وكلمة «رقيق» في المثال الثاني لها معنيان: الأول قريب متبادر وهو العبد المملوك وسببُ تبادُره إلى الذهن ما سبقه من كلمة «حُرّ»، والثاني بعيد وهو اللطيف السهل، وهذا هو الذي يريده الشاعر بعد أن ستَره في ظل المعنى القريب. وكلمة «القَصْف» في المثال الثالث معناها القريب الكسْر، بدليل تمهيده لهذا المعنى بقوله: «فإنَّ غصون الزهر» ومعناها البعيد اللعب واللهو، وهذا هو المعنى الذي قصد إليه الشاعر بعد أن احتال في إخفائه. ويسمَّى هذا النوع من

(1) شاعر مصري رقيق، برع في التورية وغيرها من أنواع البديع، وله شعر كثير جيد، ولد سنة 615 هـ ومات سنة 695 هـ.

(2) كان يحترف باكتراء الحمامات بمصر، فلما كبرت سنه اقتصر على الاستجداء بالشعر، وشعره يدل على نبوغ وعبقرية، مات سنة 712هـ.

(3) يعوق: أي يمنع من إدراك جمالها.

(4) هو شمس الدين بن العفيف التلمساني، كان نابغة عصره، وقد فتن بشعره لرقته وجماله الفني، ولد سنة 662هـ ومات سنة 687 هـ فكانت حياته خمسًا وعشرين سنة.

البديع **توريه** وهو فنٌّ بَرَعَ فيه شعراء مصر والشام في القرن السابع والثامن من الهجرة، وأتَوْا فيه بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاءِ الطبع والقدرة على اللعب بأساليب الكلام.

القاعدة

(71) **التَّوْرِيَةُ** : أَنْ يَذْكُرَ المتكلِّمُ لَفْظًا مُفْرَدًا له مَعْنَيانِ، قَريبٌ ظاهِر غَيْرُ مُرَادٍ ، وَبَعيدٌ خَفِيٌّ هُوَ المُرادُ.

تمرينات

(1)

اشرح التورية في كلِّ مثال من الأمثلة شرحًا وافيًا.

(1) قَال سراجُ الدين الورَّاق :

كَمْ قَطع الْجُنُودُ من لِسان ... قَلَّدَ مِنْ نَظْمِه النحُورا

فَهَا أَنَا شَاعِرٌ سِرَاجٌ ... فاقْطَعْ لِساني أَزِدْكَ نُورا[1]

(2) وقال أيضًا :

يا خَجْلَتي وصحائفي سودٌ غَدتْ ... وصحائفُ الأبرار في إشراق

ومُوَنِّب لِي في القيامةِ قال لي ... أكَذَا تكون صحائفُ «الورَّاق؟» [2]

(3) وقال أبو الحسين الجزار :

كيْفَ لا أشكرُ الجزارَة ما عشْـ ... ـتُ حفاظًا وأهْجُرُ الآدابا؟

وبها صارت الْكِلابُ تُرَجِّيـ ... ـني وبالشِّعْر كُنتُ أَرجُو الكلابا [3]

(4) وقال بدْرُ الدين الذهبيُّ :

رفْقًا بخِلٍّ ناصح ... أَبْلَيْتَهُ صَدًّا وهَجْرا

وافاك سائلُ دمْعِهِ ... فَردَدْتَهُ في الحال نَهْرا [4]

(5) وقال :

يا عاذلي فيه قلْ لي ... إذا بَدَا كَيْف أَسْلُو؟

يمُرُّ بي كل وقْتٍ ... وكلَّما مرَّ يحلُو

(1) قطع لسان الشاعر: أسكته بعطاياه عن هجائه، ولسان السراج: فتيله.

(2) من معاني الوراق بائع الورق أو الكتب.

(3) قد يراد بالكلاب مجازًا لئام الناس

(4) من معاني النهر أن يكون مصدر نهر ينهر بمعنى زجر.

(6) وقال :

وريـــاض وقـفَـتْ أشْـجـارُهـا ... وتمشَّتْ نسْمةُ الصُّبحِ إليها
طَالعتْ أوْراقَها شَمْسُ الضُّحا ... بعْد أنْ وقَّعتِ الـوُرْقُ عليها[1]

(7) قال الشاب الظريف :

قَـامَـتْ حُـرُوبُ الـزَّهْـرِ ما ... بـيـنَ الـرِّيـاضِ الـسُّـنـدُسـيَّـهْ
وأتـــتْ بـأجـمـعِـهـا لتغـ ... ـــزو روضـةَ الـــوردِ الجنيَّهْ
لـكِـنَّـهـا انـكـسـرتْ لأنَّ ... الـــوردَ شـوكـتُـهُ قـويَّـهْ

(8) وقال نصيرُ الدِّين الحمَّاميُّ :

جُـــودُوا لـنَـسْـجَـع بالمديـ ... ـــح عـلـى عُـلاكُـمْ سَـرْمـدَا
فـالـطـيـرُ أحـســن مـا تغـ ... ـــرِّدُ عِـنْـد مـا يـقَـعُ الـنـدَى[2]

(9) وقال سراج الدين الورَّاق :

وقـفْـتُ بـأطـلال الأحـبَّـة سائلا ... ودمْعيَ يَسْقي ثَمَّ عهدا ومعْهَدَا
ومِـنْ عجب أنِّـي أُروِّي دِيارهُمْ ... وحظِّي مِنها حين أسْألها الصَّدَى[3]

(10) وقال ابن الظاهر :

شُـكْـرًا لـنَـسـمـة أرْضِـكـم ... كـم بَـلَّـغَـتْ عـنِّـي تَـحـيـهْ
لا غـــرْوَ إن حـفِـظَـتْ أحـا ... ديـثَ الـهـوى فهي الـذَّكِـيَّـهْ[4]

(11) وقال ابن نُباتَه المصري[5] :

والـنَّـهْـرُ يُـشْـبِـهُ مِـبْـردًا ... فـلأجْـل ذَا يجْلُو الـصَّـدَى[6]

(2)

لكلٍّ منَ الألفاظ الآتية أكثرُ من معنًى، فاستعمل كلَّ لفظ في مثالٍ للتورية :

الجَدّ[7] حكَى . الراحة. القُصُور. عفَا[8] . قضَى[9] . الجُفُون[10].

(1) الورق: جمع ورقاء وهي الحمامة، ووقعت قد يكون من التوقيع وهو كتابة الاسم في أسفل الكتاب.
(2) من معاني الندى: الجود، وما يسقط من بلل آخر الليل.
(3) من معاني الصدى: الظمأ، وما يجيبك بمثل صوتك.
(4) الذكي: سريع القطنة أو ساطع الرائحة.
(5) هو جمال الدين حامل لواء الشعر والنثر في عصر المماليك، وله ديوان شعر مطبوع، ولد سنة 686 هـ ومات سنة 768 هـ
(6) الصدا بتسهيل الهمزة: وسخ الحديد ونحوه، والصدى: العطش.
(7) الجد: الحظ أو أبو الأب أو أبو الأم.
(8) عفا: صح، وعفا المنزل: زال أثره.
(9) قضى: مات أو حكم.
(10) الجفون: أغطية العيون أو أغماد السيوف.

(3)

في أيِّ شيءٍ تُوافقُ التوريةُ الجناسَ التامَّ، وفي أي شيءٍ تخالفهُ؟ مثِّل بمثال للتورية، ثم حوله إلى الجناس التامِّ.

(4)

هل تستطيعُ أن تضعَ كلمةَ التورية في العبارات الآتية:

(1) اشتدَّ حزنُ الرياض على الربيع وَجَمَدتْ ...

(2) الحمَامُ أبلغ منَ الكتَّاب إذا ... (3) قلبي جارُهم يوم رَحلوا ودمعي ...

(5)

اشرحْ قول ابن دَانيال طبيبِ العيون [1] وبيِّن ما فيه منْ حلاوة التورية:

يا سائلِي عنْ حِرْفتي في الورَى ... واضَيْعتي فيهم وإفلاسي!

ما حالُ منْ دِرْهَمُ إنْفاقِهِ ... يأخذُه منْ أعْينِ الناسِ؟

(2) الطِّباق

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: 18] [2].

(2) وقال ﷺ: «خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ» [3].

***

(3) وقال تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ ﴾ [النساء: 108].

(4) وقال السموءَل:

ونُنكِرُ إن شِئنا على النّاسِ قولَهم ... ولا يُنكِرونَ القولَ حينَ نَقولُ [4]

---

(1) هو شمس الدولة الموصلي، صاحب النظم الحلو والنثر العذب والنكت الغريبة، وكان له دكان للكحل داخل باب الفتوح، مات بمصر سنة 710 هـ.

(2) أيقاظًا: جمع يقظ ككتف، ورقود: نيام، جمع راقد.

(3) يعني أن خير المال عين ماء ينام صاحبها وهي تظل فائضة تسقى له أرضه.

(4) معنى الشطر الثاني أنهم لشدة بأسهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم ما يقولون.

البحث

إذا تأملت الأمثلةَ المتقدمةَ، وجدت كلا منها مشتملًا على شيء وضده، فالمثال الأول مشتمل على الكلمتين: «أيقاظا» و«رقود» والمثال الثاني مشتمل على الكلمتين: «ساهرة» و«نائمة». أما المثالان الأخيران فكل منهما مشتمل على فعلين من مادة واحدة أحدهما إيجابي والآخر سَلبي، وباختلافهما في الإيجاب والسلب صارا ضدين، ويسمَّى الجمع بين الشيء وضده في الأمثلة المتقدّمة وأشباهها طباقا، غير أنه في المثالين الأولين يدعَى «طباق الإيجاب» وفي المثالين الأخيرين يدعَى «طباق السلب».

القاعدة

(72) الطِّباقُ :الْجَمْعُ بَيْنَ الشَّيْءِ وضِدّه في الكلام، وهوَ نَوْعان:

(أ) طِبَاقُ الإيجاب: وَهُو ما لَمْ يَختَلِفْ فيه الضدَّان إيجَابًا وَسَلْباً.

(ب) طِباقُ السَّلبِ: وَهُو ما اخْتَلَف فيه الضِّدان إيجَابًا وسَلْباً.

تمرينات

(1)

بيِّن مواضعَ الطباقِ في الأمثلة الآتية، ووضحْ نوعه في كل مثال:

(1) قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام:122].

(2) وقال دِعْبل الخُزاعيُّ:

لا تعجبي يا سلْمُ مِنْ رجُلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسِهِ فَبكَى [1]

(3) وقال غيره:

على أنني راضٍ بأنْ أَحْمِلَ الهوَى وأَخْرُجَ مِنْهُ لاَ عليّ ولا لِيَا [2]

(4) وقال البحتريُّ:

تُقَيِّضُ لي من حيثُ لا أعلَمُ النّوَى وَيَسْرِي إليّ الشّوْقُ من حَيثُ أعلَمُ [3]

(5) وقال المُقنَّع الكنديُّ[4]:

(1) سلم: مرخم سلمى اسم امرأة.

(2) في على معنى التضرر وفي اللام معنى الانتفاع، ومن هنا جاء الطباق بين الحرفين.

(3) يقول يقضي عليه بالبعاد فلا يدرى له سببا، ويغالبه الشوق فيعرف مصدره ومبعثه.

(4) شاعر مقل من شعراء الإسلام في عهد بني أمية، وكان له شرف ومروءة وسؤدد في عشيرته، وكان سمح اليد بماله لا يرد سائلا، وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجها. وكان يخشى إذا حسر اللثام عن وجهه أن تصيبه العين، ولذلك كان يمشي مقنع الوجه ملثما.

لهُمْ جُلُّ مالِي إنْ تَتابعَ لِي غنىً ... وإنْ قَلَّ مالِي لَمْ أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا [1]

(6) وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:6-7] [2]

(7) وقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:286] [3]

(8) وقال السموءَل بن عادياء:

سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وعَنْهُمُ ... فلَيْسَ سَواءً عالِمٌ وجَهُولُ [4]

(9) وقال الفرزدق يهجو بني كُلَيْب:

قَبَّحَ الإلَـهُ بَني كُلَيْبٍ إنَّهُمْ ... لا يَغْدِرُونَ وَلا يَفُونَ بجار [5]

(10) وقال أبو صخر الهُذليّ [6]:

أما والذي أَبْكَى وأَضْحَكَ والذي ... أماتَ وأَحْيا والذي أَمْـرُهُ الأَمْرُ

لقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسُدُ الوَحْشَ أَنْ أَرَى ... خَلِيلَيْنِ مِنْها لا يَرُوعُهُما الذُّعْرُ [7]

(11) قال الحماسيُّ:

تأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحياةَ فَلَم أَجِدْ ... لِنَفْسي حياةً مِثل أَنْ أَتَقَدَّما [8]

(2)

اقرأ ما كتبه ابن بطوطة [9] في وصف مصرَ وبيِّن جمالَ الطباقِ في أسلوبه :

(1) الرفد: العطاء والصلة، يقول: إني إذا ازددت مالا ازددت لهم بذلا، وإن قل مالي لم أطلب منهم عطاء.

(2) أي لا يعلمون أمور الآخرة. يعلمون ظاهرًا من الحياة: أي يعلمون أمور الدنيا الظاهرة.

(3) أي للنفس ثواب ما كسبته من الطاعات، وعليها عقاب ما اقترفته من المعاصي.

(4) يقول: إن كنت جاهلة حالنا فسلي الناس عنا يخبروك، فليس العالم كالجاهل.

(5) يذم بني كليب بأنهم ضعاف لا يستطيعون الغدر بأحد، ويذمهم بأنهم لا يفون بحقوق الجار.

(6) أحد بني هذيل وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان مواليا لبني مروان متعصبًا لهم وله في عبد الملك مدائح.

(7) راعه: أفزعه، والذعر: الخوف، يقول في البيتين: أقسم بمن بيده الحزن والسرور والإماتة والإحياء، لقد جعلتني الحبيبة في حال إذا تأملت معها الوحوش وهي تأتلف في مراعيها تمنيت أن أكون مثلها في تألفها، لأني أرى كل أليفين منها آمنين لا يفزعهما خوف من الوشاة والرقباء.

(8) يقول: إنه تأخر عن القتال إبقاء على حياته، فرأى أن الإقدام أحفظ لحياته وأبقى لها لأنه يدفع الأعداء عن نفسه ويقتلهم قبل أن يقتلوه.

(9) رحالة مشهور، ولد بطنجة سنة 703 هـ وسافر إلى مصر والعراق والشام واليمن والهند والصين وغيرها من الأقطار الشرقية، ثم رجع إلى المغرب وأخذ يملي رحلته المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) وقد ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية، وتوفي سنة 779 هـ.

هي مجْمعُ الوارد والصادر [1]، ومحطُّ رَحْل [2] الضعيفِ والقادرِ، بها ما شِئتَ من عالِمٍ وجاهِلٍ، وجادٍّ وهازلٍ، وحليمٍ وسفيهٍ، ووضيعٍ ونبيهٍ، وشريفٍ ومشروفٍ، ومُنْكَرٍ ومعروفٍ، تَمُوجُ موْجَ البحرِ بسكّانها، وتكادُ تَضيق بهمْ على سَعةِ مكانها.

(3)

حوِّلْ طباقَ الإيجابِ في الأمثلة الآتية إلى طباق السلبِ:

(1) العدوُّ يُظهرُ السيئةَ ويُخْفي الحسنةَ.

(2) ليس من الحزمِ أنْ تُحسِنَ إلى الناس وتسيءَ إلى نَفْسكَ.

(3) لا يليقُ بالمُحْسِن أن يُعْطيَ البعيدَ ويمْنَعَ القريبَ.

(4)

حَوِّلْ طباقَ السلب في الأمثلة الآتية إلى طباق الإيجاب:

(1) يَعْلم الإنسانُ ما في اليوم والأمسِ، ولا يعلمُ ما يأتي به الغدُ.

(2) اللئيمُ يعْفُو عند العجزِ، ولا يعفو عند المقدرةِ.

(3) أحبُّ الصدقَ ولا أحبُّ الكذبَ.

(5)

(1) مثِّلْ لكلٍّ من طباق الإيجاب وطباق السلب بمثالين من إنشائك.

(2) هات مثالين لطباق الإيجاب، ثم حوِّلهما إلى طباق السلب.

(3) هات مثالين لطباق السلب، ثم حوِّلهما إلى طباق الإيجاب.

(6)

اشرح البيت الآتي، وبيِّن نوع الطباق به:

والشَّيْب ينْهَضُ في الشَّبابِ كأنه ... لَيْلٌ يَصِيحُ بجانِبَيْهِ نَهارُ[3]

(1) محل اجتماع من يأتي إليها ومن ينزح عنها.
(2) الرحل: ما يجعل على ظهر البعير للركوب.
(3) البيت للفرزدق، والمراد بالشباب هنا الشعر الأسود.

(3) المقابلة

الأمثلة

(1) قال ﷺ للأنصار: «إنكم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَع، وتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَع».

(2) وقال خالد بنُ صَفْوَانَ يَصِفُ رَجُلاً: لَيْسَ له صديقٌ في السِّر، وَلا عَدُوٌّ في الْعلانِيَةِ.

***

(3) قال بعضُ الخلفاء: مَنْ أَقْعَدَتْه نكايَةُ اللِّئام، أَقَامَتْهُ إعانةُ الكِرام.

(4) وقال عبد الملك بن مَرْوان [1]: مَا حَمِدْتُ نَفْسي عَلَى محبوب ابتدأْتُه بعَجْزٍ، ولا لُمْتهَا عَلى مكروه ابتدأْتُه بحزم.

البحث

إذا تأملت مثالَيْ الطائفة الأولى وجدت كل مثال منهما يشتمل في صدره على معنيين، ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب، ففي المثال الأول بيَّن النبيُّ صلى الله عليه وسلم صفتين من صفات الأنصار في صدر الكلام وهما الكثرة والفزع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب، وفي المثال الثاني قابل خالد بن صفوان الصديق والسرّ بالعدو والعلانية. انظر مثالي الطائفة الثانية تجد كلاً منهما مشتملاً في صدره على أكثر من معنيين، ومشتملاً في العجز على ما يقابل ذلك على الترتيب، وأداءُ الكلام على هذا النحو يسمَّى **مقابلة**. والمقابلةُ في الكلام من أسباب حسنه وإيضاح معانيه، على شرط أن تتاح للمتكلم عفوًا، وأما إذا تكلفها وجرى وراءها، فإنها تعتقل المعاني وتحبسها، وتحرم الكلام رونق السلاسة والسهولة.

القاعدة

(73) الْمُقَابَلَة أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْن أَوْ أَكْثَرَ، ثم يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرتِيب.

تمرينات

(1)

بيِّن مواقعَ المقابلة فيما يأتي:

(1) روت عائشَةُ عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «عليك بالرِّفق يا عائشة. فإنه من كان في شيءٍ إلا زانه، ولا نُزِع من شيءٍ إلا شانه».

(1) ملك من أعاظم ملوك بني أمية ودهاتها، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة 65 هـ فضبط أمورها، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان واسع العلم والمعرفة، توفي سنة 86 هـ

(2) وقال بعضُ البلغاء: كَدَرُ الجماعة خيرٌ من صَفْو الفُرقة .

(3) وقال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: 157].

(4) وقال جرير :

وبـاسِـطُ خـيـرٍ فـيـكُـمُ بيمينه ... وقـابِـضُ شـرٍّ عنكُمُ بِشماله

(5) وقال البحتريُّ :

فـإذا حَـارَبُـوا أذَلّـوا عَـزيـزاً ... وإذا سَـالَـمُـوا أعَـزّوا ذَليلا

(6) وقال الشريف :

وَمَنظَرٍ كانَ بالسّرّاءِ يُضحِكُني ... يا قُـرْبَ مَا عادَ بالضّرّاءِ يُبكيني

(7) وقال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: 23].

(8) وقال تعالى: ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد: 13].

(9) وقال النابغة الجعديُّ :

فَتًى كـان فيه ما يَسرُّ صديقَهُ ... على أنَّ فيهِ ما يسوءُ الأعادِيا

(10) وقال أبو تمام :

يا أُمَّةً كَانَ قُبْحُ الجَوْرِ يُسْخِطُهَا ... دَهْراً فأصْبَحَ حُسنُ العَدلِ يُرْضِيهَا

(11) وقال أيضاً:

قدْ يُنْعِمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عظُمتْ ... ويَبْتَلي اللَّهُ بعضَ القَوْمِ بالنِّعَمِ

(12) وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: 5-10].

(13) وقال المعريُّ :

يـا دهْـرُ يـا مُـنـجـزَ إيـعـادِهِ ... ومُخْلِفَ المأمولِ مِـنْ وعْـدِه

(2)

ميِّز الطباقَ من المقابلة فيما يأتي:

(1) قال تعالى :﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان:70].

(2) وقال تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝١٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم:43-44].

(3) وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: 125]

(4) وقال أبو الطيب :

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشفَعُ لي ... وَأَنثَني وَبَيَاضُ الصُّبحِ يُغري بي

(5) الكريمُ واسعُ المغفرةِ، إذا ضاقتِ المعْذرةُ .

(6) غَضَبُ الجاهِلِ في قَوْلِه، وغَضبُ العاقلِ في فِعْلِه .

(7) وقال المنصورُ: لا تخرجوا منْ عزِّ الطاعة إلى ذلِّ المعصية .

(8) لَئِنْ ساءَني أَنْ نِلْتِني بِمَساءَةٍ ... لقَدْ سَرَّني أَنِّي خَطَرْتُ ببالِكِ

(9) و قال النابغة:

وإنْ هبطا سهلًا أثارا عَجاجَةً ... وإنّ عَلَوَا حَزْنًا تَشَظّتْ جَنادِلُ[1]

(10) قال أوْس بن حَجر:

أَطَعْنَا رَبَّنَا وَعَصَاهُ قَوْمٌ ... فَذُقْنَا طَعْمَ طَاعَتِنا وَذَاقُوا

(3)

إيت بمقابل الألفاظ الآتية، ثم كوِّن منها ومن أضدادها بعض أمثلة للطباق، وبعض أمثلة أخرى للمقابلة ، قدَّم. الليلُ. الصحةُ. الحياة. الخير. المنع. الغنَى.

(4)

(1) هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما معنيين بآخرين.

(2) هات مثالين للمقابلة تُقابل في كل منهما ثلاثة معان بثلاثة أُخرى.

(5)

اشرح البيت الآتي، وهل ترى أنَّ الشاعر وُفق فيه إلى المقابلة؟

لَمَنْ تَطْلُبُ الدّنْيا إذا لم تُرِدْ بها ... سُرُورَ مُحِبٍّ أوْ إساءَةَ مُجرِمِ

(1) نشظت جنادل: تكسرت حجارة.

(4) حُسْنُ التعليل

الأمثلة

(1) قال المعري في الرثاء :

وَمَا كُلْفَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ قَدِيمَةً ... وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطْمِ[1]

(2) وقال ابن الروميّ :

أَما ذُكَاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إِذْ جَنَحَتْ ... إِلا لِفُرْقَةِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ

(3) وقال آخر في قلّة المطر بمصر:

ما قَصَّرَ الغَيْثُ عنْ مصرَ وتُرْبتها ... طَبْعًا ولكنْ تعدَّاكم منَ الخَجَلِ

البحث

يرْثي أبو العلاء في البيت الأول، ويبالغ في أن الحزن على المرثي شَمِل كثيرًا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعي أن كلفةَ البدر، وهي ما يظهر على وجهه من كدْرة، ليست ناشئة عن سبب طبيعي، وإنما هي حادثة من اللطم على فراق المرثي. ويرىَ ابن الرومي في البيت الثاني أنَّ الشمس، لم تَصفَرَّ عند الجنوح إلى المغيب للسبب الكوني المعروف عند العلماء، ولكنها اصفرت مخافة أن تفارق وجه الممدوح، وينكر الشاعر في البيت الثالث الأسباب الطبيعية لقلة المطر بمصر، ويتلمس لذلك سببًا آخر هو أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمُّها فضلُ الممدوح وجوده، لأنه لا يستطيع مباراته في الجود والعطاء. فأنت ترى في كل مثال من الأمثلة السابقة أنَّ الشاعر أنكر سبب الشيء المعروف والتجأ إلى علة ابتكرها تناسب الغرض الذي يرمي إليه، ويسمَّى هذا الأسلوب من الكلام حسن التعليل .

القاعدة

(74) حُسنُ التَّعْليل : أنْ يُنكرَ الأَديبُ صَرَاحَةً أوْ ضِمْنًا عِلَّةَ الشَّيْءِ الْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتي بعلَّةٍ أَدَبيَّةٍ طَريفَةٍ تُنَاسِبُ الغَرَضَ الَّذي يَقْصِدُ إِلَيْهِ.

(1) الكلفة: كدرة تعلو الوجه.

تمرينات

(1)

وضح حُسنَ التعليل في الأبيات الآتية :

(1) قال ابن نباتة :

لَمْ يزَلْ جُـودُه يجُورُ على المالِ ... إلـى أَنْ كَسا النُّضَارَ اصْفِرارا

(2) وقال شاعر يمدحُ ويُعلل لزلزال حدثَ بمصرَ:

ما زُلزلَتْ مِصْرُ من كَيْدٍ يُرادُ بها ... وإنما رقَصتْ مـنْ عـدْلِـه طَربا

(3) أَرَى بَـدْرَ السَّماءِ يلوحُ حينًا ... ويـبـدُو ثـمَّ يلتحِفُ السَّحَابَا

وذاكَ لأَنَّـــه لـمَّـا تـبـدَّى ... وأَبصرَ وجْهَكَ اسْتَحْيا وغابَا

(4) وقيل في وصف فرس أدْهم ذي غرَّة [1] :

وأَدهْـــم كـالـغُـرابِ سَـوادَ لَـوْنٍ ... يَطيرُ مـعَ الـرِّيـاحِ ولا جَـنَـاحُ

كـسـاهُ الـلَّـيْـلُ شملتهُ وولَّـى ... فقبَّلَ بينَ عينَيهِ الـصَّـبـاحُ[2]

(5) وقال ابن نُباتة السعدي في فرس محجَّل[3] ذي غُرة :

وأَدْهَـــم يستَمِدُّ الـلَّـيـلُ مِـنْـهُ ... وتَـطْـلُـعُ بيْنَ عيْنيْهِ الـثُّـريَّـا[4]

سرَى خَلْفَ الصَّباحِ يطِيرُ زَهْوًا ... ويَطْوي خَلْفَهُ الأَفـلاكَ طيًّا[5]

فلما خَـافَ وشْـكَ الْـفَـوْتِ مِنْهُ ... تَشَبَّثَ بالْقَوائِمِ والمُحيَّا[6]

(6) وقال الأُرَّجانيُّ :

أَبْدى صنيعُك تَقصيرَ الزَّمان ففي ... وقتِ الرَّبيعِ طُلوعُ الوَرْدِ مِن خَجَل

(7) وقال بعضهم يرثي كاتبا:

استَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سالِفًا ... وقَـضَـتْ بِصحّةِ ذلـكَ الأيـامُ

(1) الأدهم: الأسود، والغرة: بياض في جبهة الفرس. (2) الشملة: ثوب يتلفف به.

(3) التحجيل: بياض في قوائمُ الفرس.

(4) يقول: إن الفرس لشدة سواده يستعير الليل لونه، ويشبه الشاعر غرة الفرس بالثريا.

(5) الزهو: الكبر والفخر، والأفلاك: جمع فلك وهو مدار النجوم.

(6) وشك الفوت: سرعته، والتشبث: التعلق، يقول: إن الصباح لما خاف أن يسبقه الفرس تعلق بقوائمه ووجهه ليمنعه السبق.

فلذاكَ سُوِّدتِ الدُّوِيُّ كآبةً أسفًا عَلَيك وشُقّتِ الأقلامُ

(8) وقال آخرُ :

سبقَتْ إليْكَ مِنَ الحدائق وَرْدةٌ وأتتكَ قَبْل أوانها تَطْفيلا[1]

طَمِعتْ بلَثْمِكَ إذْ رأتْك فجمَّعتْ فَمهَا إليْكَ كَطالب تَقبيلاَ

(9) لاَ يطْلُع البدْرُ إلاَّ مِنْ تَشَوُّقِه إليك حتَى يوافي وجْهَكَ النضرا

(10) بكت فَقْدكَ الدُّنْيا قَديمًا بدمْعِها فكان لها في سالِفِ الدَّهْرطُوْفان [2]

(2)

علل لما يأتي بعلل أدبية طريفة :

(1) دُنُوُّ السحاب منَ الأرضِ .
(2) احتراقُ دارٍ غابَ عنها أَهلوها.
(3) كُسوفُ الشمسِ.
(4) نزولُ المطرِ في يومٍ ماتَ فيه عظيمٌ.

(3)

مثّل بمثالين من إنشائك لحسن التعليل.

(4)

اشرح البيتين الآتيين، وبيّن ما فيهما منْ حسن التعليل، وهما لأبي الطيب في المدح :

أَلَستَ ابنَ الأُلَى سَعِدوا وسادوا ولم يَلِدوا امرَأً إلاّ نَجيبًا

ومَاريحُ الرياض لها ولكِنْ كَساها دفْنُهم في التُرْب طيبًا

(5 و 6) تأكيدُ المدح بما يُشْبهُ الذَّمَّ وعَكسُهُ

الأمثلة

(1) قال ابن الروميّ :

ليسَ بِه عيبٌ سِوَى أَنَّهُ لا تَقَعُ العَيْنُ على شِبْهِه

(1) أتتك تطفيلا: أتتك بلا دعوة منك.
(2) الطوفان: المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء، يريد الشاعر الطوفان الذي حدث في زمن نوح عليه السلام.

(2) وقال آخر:

ولا عَيْبَ في معروفِهِمْ غيرَ أنَّهُ يُبَيِّنُ عَجْزَ الشَّاكرينَ عن الشُّكْرِ

***

(3) وقال ﷺ: «أنَا أفصَحُ العَرَبِ بَيْدَ أنِّي من قُرَيْشٍ».

(4) وقال النابغة الجَعْدي:

فَتًى كَمُلَتْ أخلاقُهُ غيرَ أنَّه جوادٌ فما يُبقي على المالِ باقِيا

البحث

لا أظنك تتردد في أن الأمثلة السابقة جميعها تفيد المدح ولكنها وُضعت في أسلوب غريب لم تَعْهَدْه، ولذلك نرى أن نشرحه لك. صدَّر ابن الرومي في المثال الأول كلامه بنفي العيب عامة عن ممدوحه، ثم أتى بعد ذلك بأداة استثناء هي «سوى» فسبق إلى وهم السامع أن هناك عيبًا في الممدوح، وأن ابن الرمي سيكون جريئًا في مصارحته به، ولكن السامع لم يلبث أن وجد بعد أداة الاستثناء صفة مدح، فراعه هذا الأسلوب، ووجد أن ابن الرومي خدعه فلم يذكر عيبا، بل أكد المدح الأول في صورة توهم الذم، ومثل ذلك يقال في المثال الثاني. انظر إلى المثال الثالث تجد أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بصفة ممدوحة، وهي أنه أفصح العرب، ولكنه أتى بعدها بأداة استثناء فدهش السامع، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم سيذكر بعدها صفة غير محبوبة. ولكن سرْعَان ما هدأت نفسه حين وجد صفة ممدوحة بعد أداة الاستثناء، وهي أنه من قريش، وقريش أفصح العرب غير منازَعين. فكان ذلك توكيدًا للمدح الأول في أسلوب ألف الناسُ سماعه في الذم، وكذلك يقال في المثال الأخير. ويسمَّى هذا الأسلوب في جميع الأمثلة المتقدمة وما جاءَ على شاكلتها تأكيد المدح بما يشبه الذمَّ. وهناك أسلوبٌ لتوكيد الذمِّ بما يشبه المدح وهو كالأسلوب السابق، له صورتان: فالأولى نحو: لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة، والثانية نحو: القوم شِحاحٌ إلا أنهم جُبناء.

القواعد

(75) تأكيدُ المَدْحِ بما يُشْبِهُ الذمّ ضربان:

(أ) أنْ يُسْتَثنَى مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ.

(ب) أن يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤتَى بَعْدَها بأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى [1].

(76) تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشْبِهُ المدحَ ضربان:

(أ) أن يُسْتَثْنَى مِنْ صِفَةِ مَدْحٍ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ ذَمٍّ.

(ب) أنْ يُثْبَتَ لِشَيْءٍ صِفَةُ ذَمٍّ، ثُمَّ يُؤْتَى بَعْدَهَا بأَدَاةِ اسْتِثْنَاءٍ تَلِيهَا صِفَةُ ذَمٍّ أُخْرَى.

(1) ومثل أداة الاستثناء في ذلك أداة الاستدراك.

تمرينات

(1)

اشرحْ ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبهُ الذمَّ، وبيِّن ضربه:

(1) قال ابنُ نُباتة المِصْريُّ:

ولا عَيْبَ فيهِ غيرَ أنِّي قصدْتُهُ ... فأنستْنِيَ الأيَّامُ أهلًا وموطِنَا

(2) وجوهٌ كأزهار الرِّياضِ نضارةً ... ولكنَّها يومَ الهياجِ صُخُورُ

(3) ولا عَيْبَ فيكم غيرَ أنَّ ضيُوفَكُمْ ... تُعابُ بنسيانِ الأحبَّةِ والوطنْ

(4) هم فرْسانُ الكلام إلا أنهم سادةٌ أمجاد.

(2)

اشرحْ ما في الأمثلة الآتية منْ تأكيد الذمِّ بما يشبهُ المدحَ، وبيِّنْ ضربَه:

(1) لا فضلَ للقوم إلا أنهم لا يعرفونَ للجار حقَّهُ.

(2) الكلامُ كثيرُ التعقيدِ سوَى أنه مبتَذَلُ المعاني.

(3) لا حُسْنَ في المنزل إلَّا أنه مُظْلمٌ ضيِّقُ الحجراتِ.

(3)

بيِّن ما في الأمثلة الآتية من تأكيد المدح بما يشبه الذمَّ وعكسِه:

(1) قال صفيُّ الدِّين الحلِّي [1]:

لا عَيْبَ فيهمْ سِوَى أنَّ النَّزيل بهمْ ... يَسلُو عنِ الأهْلِ والأوْطانِ والحشَمِ

(2) لا خيرَ في هؤلاء القوم إلا أنهم يعيبونَ زمانَهم والعيبُ فيهم.

(3) ولا عَيْبَ فيه لامرئٍ غيرَ أنَّهُ ... تعَابُ لهُ الدُّنْيا وليْسَ يُعابُ

(4) هو بذيءُ اللسانِ غيرَ أنَّ صدرَه مَجمَعُ الأضْغانِ.

(5) تُعَدُّ ذُنوبي عِنْد قَـوم كَثيرةً ... ولاَ ذَنْبَ لِي إلا العُلا والفَضائِلُ

(6) لا عزةَ لهم بينَ العشائر غير أنَّ جارَهم ذليلٌ.

---

(1) شاعر الجزيرة، ولد ونشأ في الحلة «بين الكوفة وبغداد»، ثم تأدب ونظم الشعر وأجاده، وهو من أئمة البديع المغالين في استعماله بلا كثير تكلف، وله ديوان شعر، وتوفي ببغداد سنة 750هـ.

(7) الجاهلُ عدوُّ نَفْسِه لكنَّهُ صديقُ السفهاءِ.

(8) لا عيبَ في الروض إلا أنه عليلُ النسيم.

(4)

(1) امدح كتابًا قرأته وأكِّد المدح بما يشبه الذمَّ

(2) امدح بلدًا زُرْته وأكِّد المدح بما يشبه الذمَّ

(3) ذُمَّ طريقًا سلكْتها، أكِّد الذمَّ بما يشبه المدح.

(5)

اشرح البيتين الآتيين، وبيِّن في أُسلوبهما تأكيد المدح بما يشبه الذمِّ:

مدحْتُكم بمديح لَوْ مدحْتُ بِهِ ... بحْرَ الجحاز لأغْنَتْني جواهِرُهُ [1]

لاَ عَيْبَ لي غَيْرَ أنّي مِنْ ديَارِكُم ... وزَامِرُ الحيِّ لَمْ تُطرِبْ مَزَامِرُه

(7) أُسلوبُ الحكيم

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:189].

(2) وقال ابن حجاج [2]:

قال ثَقَّلْتُ إذْ أَتَيْتُ مرارًا ... قُلْتُ ثَقَّلْتَ كاهِلي بالأَيادي [3]

قال طَوَّلْتُ قلْتُ أَوْلَيْتَ طَوْلًا ... قَال أَبرمتُ قُلْتُ حَبْلَ ودادي [4]

البحث

قد يخاطبكَ إنسانٌ أو يسألك سائل عن أمر من الأمور فتجد من نفسك ميلا إلى الإعراض عن الخوض في موضوع الحديث أو الإجابة عن السؤال لأغراض كثيرة، منها أن السائل أعجزُ من أن يفهم الجواب على الوجه الصحيح، وأنه يجْمُل به أن ينْصرف عنه إلى النظر فيما هو أنفع له وأجدى عليه، ومنها أنك تخالف محدثك في الرأي ولا تريد أن

(1) يريد ببحر الحجاز بحر عمان حيث يغاص على اللؤلؤ

(2) هو أبو عبد الله بن أحمد البغدادي، شاعر فكه مقتدر على المعاني التي يريدها، كثير الهزل والفحش في شعره، وله ديوان شعر كبير، توفى سنة 391 هـ.

(3) الكاهل: ما بين الكتفين.

(4) طولت: أطلت الإقامة، والطول: التفضل والإحسان، أبرمت من معانيها: أمللت، ومن معانيها أحكمت فتل الحبل.

تجبهه برأيك فيه، وفي تلك الحال وأمثالها تَصرفه في شيءٍ من اللباقة عن الموضوع الذي هو فيه إلى ضرب من الحديث تراه أجدر وأولى. انظر إلى المثال الأول تجد أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة، لِمَ تبْدو صغيرةً ثمْ تزداد حتى يتكامل نورها ثم تتضاءل حتى لا تُرى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك يُحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة فَصرفهم القرآن الكريم عن هذا ببيان أن الأهلة وسائل للتوْقيت في المعاملات والعبادات؛ إشارة منه إلى أن الأولى بهم أن يسألوه عن هذا، وإلى أنَّ البحث في العلوم يجب أن يُرْجَأَ قليلًا حتى تتوطد الدول وتَسْتَقِرَّ صخرةُ الإسلام. وصاحبُ ابن حجاج في المثال الثاني يقول له قد ثقَّلْتُ عليك بكثرة زياراتي، فيصرفه عن رأيه في أدب وظَرْف وينقل كلمته من معناها إلى معنى آخر. ويقول له: إنك ثقَّلتَ كاهلي مما أغدقت عليَّ من نِعم، ومثل ذلك يقال في البيت الثاني، وهذا النوع من البديع يسمَّى: أسلوبَ الحكيم.

القاعدة

(77) أُسْلوبُ الحكيم تَلَقِّي الْمُخَاطَب بغير ما يَتَرَقَّبُهُ، إمَّا بتَرْكِ سؤاله والإجابة عن سؤالٍ لم يَسْأَلْهُ، وإمَّا بحَمْلِ كلامه عَلَى غير ما كانَ يَقْصِدُ، إشَارَةً إلى أَنَّهُ كان يَنْبَغي له أن يَسْأَلَ هذا السؤال أَوْ يَقْصِدَ هذا الْمَعْنَى.

تمرينات

(1)

بيِّن كيف جاءَ الكلامُ على أسلوب الحكيم في الأمثلة الآتية:

(1) ولقدْ أَتيتُ لصاحبي وسألْتُهُ ... في قَـرْضِ دينـارٍ لأمـرٍ كانَا

فأجابَني واللهِ داري ما حَـوَتْ ... عيْنًا فقلتُ لـهُ ولا إنسانا [1]

(2) قيل لشيخٍ هَرِم: كم سِنُّكَ؟ فقال: إني أَنْعَمُ بالعافية.

(3) قيل لرجلٍ: ما الغنَى؟ فقال: الجودُ أَنْ تجودَ بالموجود.

(4) سئلَ غريبٌ عن دينه واعتقاده، فقال: أُحبُّ للناس ما أحبُّ لنفسي.

(5) قيل لتاجر: كمْ رأْسُ مالك؟ فقال: إني أَمينٌ وثقَةُ الناس بي عظيمةٌ.

(6) قال الحجَّاجُ للمهلَّب: أنا أَطولُ أَم أَنتَ؟ فقال: أنْت أَطولُ [2] وأنا أبْسطُ قامةً.

(1) العين: الذهب والباصرة، والإنسان قد يراد به إنسان العين وقد يراد به أحد بني آدم.

(2) من معاني أطول أنها اسم تفضيل من الطول ضد القصر؛ وأنها اسم تفضيل من الطول بمعنى التفضيل.

(7) سئل أحدُ العمَّال ما ادخرتَ منَ المال؟ فقال: لا شيءَ يعادلُ الصحَّةَ.

(8) دخل سيدُ بن أنس على المأمون فقال له المأمون: أنْتَ السَّيِّدُ، فقال: أَنتَ السيدُ يا أمير المؤمنينَ وأنا ابن أنس.

(9) طلبتُ منه درْهمًا يومًا فأظْهَرَ العجَبْ
وقال ذَا من فضَّةٍ يُصْنعُ لا منَ الذَّهبْ

(10) قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ ﴾ [البقرة: 215].

(11) لمَّا توجه خالد بن الوليد رضي الله عنه لفتح الحيرة أتى إليه من قِبَل أهلها رجل ذو تجربة، فقال له خالد: فيم أنت؟ قال: في ثيابي فقال: علام أنت؟ فأجاب: على الأرض؛ فقال: كم سِنُّك؟ قال: اثنتان وثلاثون، فقال أسألك عن شيءٍ وتجيبني بغيره؟ فقال: إنما أجبتُ عما سألتَ.

(12) ولمَّا نَعَى الناعي سألناه خشْيةً وللعيْن خوف البيْن تَسكابُ أمطار
أجاب قضى! قلنا قَضى حاجةَ العُلاَ فقال مضَى ! قلنا بكل فَخار [1]

(2)

إذا سُئلت الأسئلة الآتية وأردت أن تتَّبع أسلوب الحكيم فكيف تجيب؟

(1) ما دخْلُ أبيك؟ (2) أينَ منزلُك؟
(3) ما ثمنُ هذه الحُلَّةَ؟ (4) كم سنةً قَضيت في التعليم الثانوي؟

(3)

كوِّن مثالين من إنشائك تجري فيهما على أسلوب الحكيم.

(4)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن النوع البديعي الذي فيهما:

جاءَني ابْني يوْمًا وكنتُ أراهُ لِي ريْحانَةً ومصْدرَ أُنْسِ
قال ما الروحُ؟ قُلتُ إنك رُوحي قال ما النفْسُ؟ قلتُ إنكَ نفسي

والحمد لله أولًا وآخرًا

(1) قضى من معانيها مات، وأدى، ومضى من معانيها مات؛ ومضى بكذا ذهب به واختص.

أسئلة امتحان شهادة الدراسة الثانوية للقسم الثاني

(1) أسئلة الدور الأول

أجب عن الأسئلة الأربعة الآتية:

(1) هاتِ مثالين للهمزة التي يُطْلَب بها التصور، وآخرين للهمزة التي يطلب بها التصديق، وأتِ بجواب الاستفهام في كلِّ مثال.

(2) تكلمْ من علم البيان على البيتين الأخيرين من قول الشريف:

وَلَيْلَةٍ خُضْتُهَا عَلى عَجَلٍ ... وَصُبْحُهَا بالظَّلام مُعتَصِمُ

تَطَلَّعَ الفَجْرُ مِنْ جَوَانِبِهَا ... وَانْفَلَتَتْ مِنْ عِقَالِهَا الظُّلَمُ

كأنما الدَّجْنُ في تزاحمه ... خَيلٌ لهَا مِنْ بُرُوقِهِ لُجُمُ [1]

(3) إذا علمت أنَّ «مقيلاً» و «مَقالاً» اسما مكان، فما مضارع كل منهما مع بيان السبب.

(4) أعرب البيت الآتي إعرابًا موجزًا:

سلام إذا لم تكن لُقْيَة ... وإن يدًا أن تردّوا السّلاما [2]

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

(1) خطب أبو بكر - رضي الله عنه - فكان ممَّا قال: «أيُّها الناس، إنّي ولِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم، فإنْ أحسنتُ فأعينوني، وإنْ زُغْتُ فقوِّموني».

بيِّنْ سبب ما جاء في الجمل الآتية من فصل ووصل.

(2) تقول العربُ فيمنْ جاهر قومًا بالعداوة:

«لبس لهم جلْد النَّمِر. وجلْد الأرقَم، وقَلَب لهم ظَهْر المِجنّ» [3].

فَبِمَ يسمَّى هذا الضربُ من التعبير في علم البيان؟ وما سرُّ البلاغة فيه؟

(3) تكلمْ منْ علم البيان على قول أعرابيٍّ: «كنتُ في شبابي أعَضُّ على الملام، عضَّ الجواد على اللجام، حتَّى أخذ المشيبُ بعِناني».

(4) هاتِ مثالًا للتورية في وصف غناء الطيور، مستعملا كلمة «عُود».

(1) الدَّجْن = الغَيْم. (2) يدًا = نعمة. (3) الأرقم = الحيَّة، المجن = الترس.

(2) أسئلة الدور الثاني

أجبْ عن الأسئلة الأربعة الآتية:

(1) قد ينادَى القريب بأداة لنداء البعيد، وقد ينادى البعيد بأداة لنداء القريب فما الأغراض البلاغيَّة لذلك؟ مثِّل.

(2) تكلم من علم البيان على قول الشريف في الشيب:

ضوءٌ تَشعْشع في سوادِ ذَوائبي ... لا أَستضيءُ به ولا أَستصبِحُ

بعتُ الشبابَ به على مِقَةٍ له ... بيعَ العليم بأنه لا يربح[1]

(3) يقولون إنَّ التصغير يردُّ الأشياء إلى أصولها، فكيف توضِّح ذلك بتصغير ما يأتي:

دارٌ - صيغة - موقِظ

(4) أعرب البيت الآتي إعرابًا موجزًا:

لَيْتَ الغَمَامَ الذي عندي صَواعقه ... يُزيلُهُنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ

أجب عن سؤالين من الأسئلة الآتية:

(1) بيِّن الغرض من الاستفهام في البيت الآتي:

وَهَل نافِعي أنْ تُرْفَعَ الحُجبُ بَيْنَنا ... وَدونَ الذي أمّلْتُ مِنْكَ حِجابُ

(2) بيِّن في البيت الآتي الجمل الأصلية والفرعية، ونوعها من حيث الاسميَّة والفعليَّة. وإذا كان به إطناب فأين هو؟ وما اسمه؟

ليسَ الزَّمانُ وإن حرصت مُسالمًا ... خُلُقُ الزَّمانِ عداوَةُ الأحرار

(3) اجعل كلاًّ مما يأتي مشبهًا به في تشبيه تمثيل:

(أ) الهلال يبدو صغيرًا، ثم ينمو، ثم يصير بدرًا.

(ب) العواصف تدعُ النبات الضعيف، وتقصفُ الأشجار العالية.

(4) اكتب سجعتين في آخر كل منهما كلمة «الراحة» وسمّ هذا النوع.

(1) المِقَة: المحبة.